

الصفات
عند الإمام
عبد الله بن المبارك

إعداد

م. م./ ضياء عليوي فياض

ديوان الوقف السني

مديرية أوقاف الفلوجة

Dhiaa ajumaili@yahoo.com

ISNN :2071-6028

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى ابراز جهود الإمام عبد الله ابن المبارك (١٨١هـ) في سبيل إظهار الدين وإقامة السنة من خلال الأمور التالية :

بيان عقيدة الصحابة ﭫ وأنهم آمنوا بالله وبآياته كما وردت في كتابه العزيز، ولم يخوضوا في المتشابه به قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ البقرة :٢٨٥.

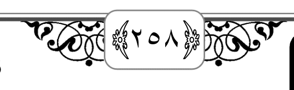
١- بيان عقيدة المعتزلة التي تقول بأن الله تعالى قديم والقدم أخص وصف لذاته ونفوا الصفات القديمة أصلا، فقالوا هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعان قائمة به.

٢- أما أهل السنة والجماعة عندما احتاج المسلمون الى بيان وتوضيح ما تشابه عليهم ، فقد أثبتوا الصفات الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل وبذلك صار مذهبهم مذهبا وسطا بين المشبه وبين المعتزلة.

٣- إن اهل السنة والجماعة كما علمنا يثبتون كل ما وصف الله به نفسه في القرآن الكريم والسنة النبوية ويقرون بكل ما جاء به الشرع في ذلك .

أثبت الإمام عبد الله بن المبارك صفات الله تعالى الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية من غير تشبيه فيقول: (فلله عز اسمه اسماء وصفات صفاته اوصافه)، وقال ايضا : (اثبات الباري جل جلاله يقع به مفارقة التعطيل واثبات وحدانيته لتقع به البراءة من الشرك واثبات انه ليس بجوهر ولا عرض ليقع به البراءة من التشبيه).

الكلمات المفتاحية : صفات ، إمام ، مبارك



Abstract:

This study focuses on the efforts offorts of Iman “Abdullah ibn Almubark” to illustrate some topics of religion and sunnahby:

1- Explain the doctrine of Sahabah، their beliefs and how they do not follow the corresponding Quranic verses.

2- Show the doctrine of mutazila، who think that Allah is old and being old is one of his characteristics. They believe that Allah knows by himself، able by himself. His ability، knowledge and eternity related to Allah.

3- The Sunna and jamat proved the chararacteristics that are mentioned in Quraan and sunnah without any corresponding or representations theref ore sunni method considered intermegiary doctrine between almushabiha and mutazila.

4- Sunni and jamat prove the characteristics of Allah that are mentioned in Quran and Sunah.

5- Imam ibn Almubarrak prove the characteristics of Allah without corresponding "Allah" almighty has names and characteristics and his characteristics are his description". he also said: "we believe of what is told by Allah and prophet”.

Keyword : Qualities , Imam , Mubarak

ISNN :2071-6028

بسم الله الرحمن الرحيم

المقــدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[١]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٢]. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[٣].

أما بعد...

فإن شرف العلم تابع لشرف المعلوم، ولا ريب أن أجل معلوم وأعظمه وأكبره هو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين، وقيوم السماوات والأرضين، الملك الحق المبين، الموصوف بالكمال كله، المنزه عن كل عيب ونقص، وعن كل تشبيه وتمثيل في كماله.

---

[١] سورة آل عمران، الآية: ١٠٢.

[٢] سورة النساء، الآية: ١.

[٣] سورة الأحزاب، الآيتان: ٧٠-٧١.

ولا ريب أن العلم بأسمائه وصفاته وأفعاله أجل العلوم وأفضلها، ونسبته إلى سائر العلوم كنسبة معلومة إلى سائر المعلومات. وقد كتبت بحثًا مختصرًا بينت فيه الصفات الإلهية عند الامام عبد الله ابن المبارك وقد اشتملت خطة البحث على مقدمة ومبحثين وخاتمة:

المبحث الأول: التعريف بالإمام عبد الله بن المبارك. وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: اسمه وكنيته

المطلب الثاني: نسبه ومولده

المطلب الثالث: شيوخه وتلاميذه

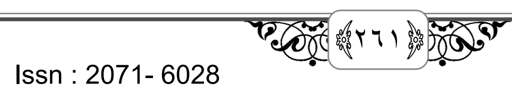
المطلب الرابع: وفاته

المبحث الثاني: إثبات الصفات وتقسيمها والأدلة عليها. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالصفات وإثباتها وتقسيمها

المطلب الثاني: بيان الصفات وأدلتها

الخاتمة.



المبحث الأول

التعريف بالإمام عبد الله بن المبارك

المطلب الأول

اسمه وكنيته

أولاً: اسمه:

عبد الله، بن المبارك، بن واضح. وقد وقفت بعض التراجم بنسبه عند أبيه[١]، ووقفت بعضها عند جده[٢] ومع قصر نسبه، فهو أوفى في التعريف به من نسب طويل ينتظم سلسلة لا تنتهي من الآباء والأجداد، إذ امتطى بنسبه العلمي منزلة يتشرف لها الملوك والأشراف.

ثانياً: كنيته:

(أبو عبدالرحمن)[٣] ولم يعرف بكنيةٍ غيرها.

---

[١] ينظر: التأريخ الكبير، البخاري، أبو عبدالله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي(ت٢٥٦هـ)، دار المعارف العثمانية، حيدر آبد- الدكن، الهند، محمد عبدالمعيد خان، ٨ج، ٣/ ٢١٢، والثقات، ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن احمد البستي (ت٣٥٤هـ)، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الهند، ١٤٠١هـ: ٧/٧.

[٢] ينظر: تأريخ دمشق، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله(ت٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م، ٨٠ج: ٣٢/٣٩٦.

[٣] ينظر: تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ١٦ج: ١١/٣٨٨.

المطلب الثاني

نسبه ومولده

أولاً: نسبه:

يعرف ابن المبارك بأكثر من نسب، وهذا بيانها:

أ- (المروزي): نسبة إلى (مرو) الشاهجان- أي العظمى- وهي حاضرة خراسان وأشهر مدنها، والتي ولد فيها ابن المبارك، وهي نسبة على غير القياس، ويقال للثوب مروي على القياس، وأورد ياقوت الحموي بعض الأخبار عن ابن المبارك ولقاءاته مع الأئمة في هذه المدينة، ونذكر ان هناك مدينة على مسيرة خمسة أيام منها تسمى (مرو الروذ) فهي ليست مراده بهذه النسبة إذ النسبة إليها (مروذي). وهو بتلك النسبة- اعني (المروزي)- أشهر من غيرها[1].

ب- (الخراساني): نسبة إلى إقليم خراسان[2]. لما ذكرناه قبل قليل. وقد نسبه إليها الخطيب البغدادي، وغيره[3]، وقد قرن بعض العلماء اسمه

---

[1] ينظر: تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ٤٠٠/١١.

[2] خراسان: بلاد واسعة كانت تشمل على أمهات البلاد منها مرو، ونيسابور، وقد فتحت خراسان سنة (٣١هـ) أيام سيدنا عثمان ﷺ. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي(ت٦٢٦هـ)، دار صادر- بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ٧ج: ٣٥٠/٢.

[3] ينظر: تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٥٢/١٠، والكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي، أبو أحمد بن عدي الجرجاني(ت٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون، الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ٩ج: ١٨٩/١.



بأهل خراسان؛ لأنه أشهر أهلها في وقته فقد قال يحيى بن معين في إحدى رواياته: (حدثني أهل خراسان عبد الله بن المبارك)[١]. هذا وقد عرف بهذه النسبة شخص آخر وهو (عبد الله بن المبارك الخراساني) أحد تلاميذ المترجم له، وهو الذي ذكره الخطيب في سند من طريقه[٢] كما عرف آخرون باسم: عبد الله بن المبارك لكن مع اقترانهم بالقاب مغايرة كـ(البخاري)[٣] و(اثنين من أهل بغداد)[٤].

ج-العراقي: لم ينسبه بذلك غير ابن جريج فيما أعلم، فقد قال في معرض كلامه عنه: (لم أر عراقياً أفصح منه))[٥]، وقد تكون هذه النسبة (من ابن جريج) نظراً لصحبة ابن المبارك الطلبة لمن اشتهرت تسميتهم بالعراقيين المنتمين إلى مدرسة الرأي الفقهية بالعراق.

---

[١] تأريخ دمشق، أبن عساكر: ٢٥١/٦.

[٢] تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٦٩/١٠.

[٣] عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدرالدين العيني، أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى (ت٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ٢٥ج: ١/ ٧٤.

[٤] المدهش، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد (ت٥٩٧هـ)، تحقيق: الدكتور مروان قباني، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ١ج: ٦٢/١.

[٥] الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبدالحي الهندي(ت١٣٠٤هـ)، عني بتصحيحه: السيد محمد بدرالدين أبو فراس النعماني، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، ١٣٢٤هـ، ١ج: ١٠٤/١.

د- (الحنظلي مولاهم)[١]: نسبة إلى بني حنظلة، ولم يكن عبد الله نفسه مولاهم، بل أبوه- المبارك- لما روى أنَّ أباه كان مولى أو عبداً لرجل من التجار من بني حنظلة[٢] من أهل همذان[٣].

هـ- التميمي مولاهم[٤]: قال بعضهم: هو مولى بني عبد شمس من بني سعد تميم[٥]، وسبب نسبته هذه هو ان (بني حنظلة) تطلق على بطون مختلفة من تميم، وغطفان، وجعفي[٦] فلما كان بنو حنظلة بطناً من بطون بني تميم كان ولاء أبيه للحنظليين وللتميميين، فلذلك قالوا الحنظلي التميمي، أي: أنَّ النسبة إلى حنظلة تميم وليس حنظلة غطفان أو غيرهم.

---

(١) ينظر: تأريخ دمشق، ابن عساكر، ٦/ ٢٥٦، و سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت٧٤٨هـ)، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، ١٨ج: ٣٧٩/٨.

(٢) ينظر: الأنساب، السمعاني، أبو سعد، عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي(ت٥٦٢هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م، ١ج: ٢٨٥/٤.

(٣) همذان: بالتحريك والذال المعجمة: من أعمال فارس أيضاً، حدَّث ياقوت أنها لا زالت على عصره محلاً للملوك ومعدناً لأهل الدين إلا أن شتاءها مفرط البرد حتى ان ابن المبارك لما قدمها أوقدت بين يديه نار، فكان إذا سخن باطن كفه أصاب ظاهرها البرد. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٢٠٥/٨.

(٤) طبقات الحفاظ، السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، جلال الدين(ت٩١١هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ، ١ج: ١٢٣/١.

(٥) تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٥٣/١٠، وتأريخ دمشق، ابن عساكر: ٢٥١/٦.

(٦) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ٢٧٢/٧، والثقات، ابن حبان: ٧/٧.



ثانياً: مولده:

لا خلاف بين العلماء في أنَّ ولادته كانت في مدينة (مرو)[١]، ولكنهم اختلفوا في سنة ولادته على أقوال أربعة، هي:

١- أنها كانت سنة (ثمان عشرة ومائة) وهو مروي عن أحمد بن حنبل، والجمهور[٢].

٢- أنها كانت سنة (تسع عشرة ومائة)[٣] وهو مروي عن ابن المبارك نفسه[٤]. إلا أنَّهُ لا يجزم بذلك.

٣- أنها كانت سنة (عشر ومائة)[٥].

٤- أنها كانت سنة (تسع وعشرين ومائة)[٦].

والراجح مِمَّا مَرَّ هو القول الأول: لنقل أكثر العلماء له، ولعدم جزم ابن المبارك في ما روى عنه في القول الثاني؛ ولأن رواية القولين الثالث والرابع ذكرها بلفظ (قيل) بعدما ذكروا رأي الجمهور هي للتضعيف، بل أكثرهم – أعني أصحاب القولين الثالث

---

(١) تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٥٤/١٠، وتأريخ دمشق، ابن عساكر: ٢٥٢/٦.

(٢) تأريخ دمشق، ابن عساكر: ٢٥٠/٦، والأنساب، السمعاني: ١٧٩.

(٣) تذكرة الحفاظ، الذهبي، شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(ت٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ٤ج، ٢٧٥/١، و صفة الصفوة، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمود فاخوري- د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة- بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، ٤ج: ١٣٤/٤.

(٤) تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٥٤/١٠، وتأريخ دمشق، ابن عساكر، ٢٥٠/٦.

(٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبدالله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين(ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب- مصر، ١٦ج: ١٠٣/٢.

(٦) مفتاح السعادة، مصطفى الشهير بـ(طاش زادة)، تحقيق: كامل بكر وعبدالوهاب أبي النور، دار الكتب الحديث: ٢٤٦/٢.

والرابع ذكروا انه توفي سنة (١٨١هـ) وله (٦٣) سنة، وعليه تكون ولادته سنة (١١٨هـ) الموافقة لسنة (٧٢٦هـ)[١].

المطلب الثالث

شيوخه وتلاميذه

أولاً: شيوخه:

يونس بن نافع هو أول من تلقى عنه ابن المبارك في خراسان هو يونس بن نافع الخراساني القاضي (ت١٥٩هـ)[٢].

وفي بلخ تلقى على مقاتل ابن حيان الخراز المتوفي قبل سنة (١٥٠هـ)[٣]، وفي هراة لقي إبراهيم بن طهمان أبا سعيد الهروي (ت١٦٣هـ)[٤].

أما في العراق فتلقى على كثير من المشايخ. ففي الكوفة لقي أهم شيخين، هما أبو حنيفة وسفيان الثوري، وهما أشهر من أن نعرف بهما، وفي (البصرة) شعبة بن الحجاج بن الورد (ت١٦٠هـ)[٥]، وفي (واسط) هشيم بن بشير بن أبي حازم السلمي الواسطي، وكان بخاري الأصل (ت١٩٣هـ)[٦]،

---

(١) الأعلام، الزركلي، خيرالدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي(ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م: ٢٥٦/٤.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية- الهند، ط١، ١٣٢٦هـ، ١٢ج: ٤٤٩/١١.

(٣) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٢٧٧/١٠.

(٤) المصدر السابق: ١٢٩/١.

(٥) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٣٣٨/٤.

(٦) تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ٨٥/١٤.



وفــي (الموصــل) روى عــن المعــافي بــن عمــران بــن نفيــل الأزدي الفقيــه الزاهــد (ت١٨٥هـ). وفــي (المــدائن) عــن الزبيــر بــن ســعيد الهاشــمي(ســنة بــضع وخمــسين ومائة)[١].

أما في (الشام) فمن أبرز مشايخه عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي فقيه الشام (ت١٥١هـ)[٢]، وفي (الأردن) روى عن عتبة بن أبي حكيم الهمداني. وفي المدينة روى عن مالك بن أنس الأصبحي المشهور، وفي مكة تلقى على عبد الملك بن عبدالعزيز بن جريج الأموي(ت١٤٩هـ)[٣]، ومن الطائف روي عن يحيى بن سليم القرشي الخراز (ت١٩٣هـ) على خلاف[٤].

أما في (مصر) فقد روى عن حيوة بن شريح بن صفوان أبي زرعة المصري الفقيه (ت١٥٨هـ على خلاف)[٥]، ويونس بن يزيد الإيلي.

أما في (اليمن) فمعمر بن راشد الأزدي البصري، الذي سكن اليمن، ومات في رمضان، سنة (١٥٢هـ) وكان من أهم شيوخ ابن المبارك فيها[٦].

---

(١) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٣/٣١٥.

(٢) المصدر السابق: ٦/٢٣٨.

(٣) المصدر السابق: ٦/٤٠٢.

(٤) المصدر السابق: ١١/٢٢٦.

(٥) المصدر السابق: ٣/٦٩.

(٦) تهذيب التهذيب، ابن حجر، ١٠/٢٤٣، وشذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري، أبو الفلاح (ت١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبدالقادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م، ١١ج: ١/٢٣٥.

وجدير بالذكر أنه قد استكثر العلم من شيخين وهما:

١- أبو حنيفة الذي قال فيه ابن المبارك: ((أبو حنيفة أفقه الناس ما رأيت في الفقه مثله))[١]، وقال: ((لولا ان الله أغاثني بأبي حنيفة وسفيان كنت كسائر الناس))[٢]. وقال: كان أبو حنيفة آية. فقال له قائل: في الشر أبا عبدالرحمن أو في الخير، فقال: أسكت يا هذا فإنَّهُ يقال آية في الشر وآية في الخير؟ ثم تلا هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾[٣] إلى جانب أبيات مدحه فيها وأقوال سنأتي على شيء منها فيما بعد[٤].

٢- سفيان بن سعيد الثوري. وقد قال فيه ابن المبارك: ((رويت عن ألف شيخ ومائة شيخ ما فيهم أفضل من سفيان))[٥]، وقال أيضاً: ((كنت إذا أعياني شيء أتيت سفيان أسأله فكأنما اغتصمه من بحر، وما نعيت لي أحداً فرأيته إلا وجدته دون نعته إلا سفيان الثوري))[٦]، ومما كان يقول فيه: ((كنت أقعد إلى سفيان الثوري، فيحدث، فأقول: ما بقي من علمه شيء إلا وقد سمعته ثم اقعد عنده مجلساً آخر، فحدث، فأقول: ما سمعت من علمه شيئاً))[٧].

---

(١) تذكرة الحفاظ، الذهبي: ١٦٨/١.

(٢) تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ٤٥٩/١٥.

(٣) سورة المؤمنون: من الآية: ٥٠، وينظر: تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ٣٣٦/١٣.

(٤) ينظر: تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ٣٥٠/١٣.

(٥) تذكرة الحفاظ، الذهبي: ٢٠٤/١.

(٦) الجرح والتعديل، ابن ابي حاتم الرازي، أبو محمد عبدالرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي(ت٣٢٧هـ)، طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية- بحيدر آباد الدكن- الهند، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٢٧١هـ- ١٩٥٢م، ٩ج: ٥٧/١.

(٧) المصدر السابق: ١١٥/١.

والحق إن الكلام عن شيوخ ابن المبارك يحتاج لمؤلف مستقل لذلك سأقتصر بذكر أشهر عشرة منهم:

١- إبراهيم بن أبي عبلة شمر بن يقضان المرتحل، أبو اسماعيل (ت١٥١هـ على خلاف)[١].

٢- إسماعيل بن أبي خالد أبو عبد الله الكوفي مولاهم، الحجة (ت١٤٥هـ على خلاف)[٢].

٣- حميد بن تيروية، الطويل، المتقي، الثقة (ت١٤٣هـ)[٣].

٤- خالد الحذاء بن مهران البصري الحافظ (ت٤٢هـ)[٤].

٥- الربيع بن أنس بن زياد البكري البصري ثم الخراساني (ت١٣٩هـ على خلاف)[٥].

٦- زبان بن العلاء، أبو عمر المازني، أحد القراء السبعة (ت٥٤٩هـ وقيل ١٥٥هـ)[٦].

---

(١) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ١٤٢/١، وشذرات الذهب، ابن العماد: ٢٣٣/١.

(٢) شذرات الذهب، ابن العماد: ٢١٦/١.

(٣) المصدر نفسه: ٢١٦/١.

(٤) المصدر السابق: ٢١٠/١.

(٥) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ٣٦٩/٧، وتهذيب التهذيب، ابن حجر: ٣٣٩/٣.

(٦) غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف (ت٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ، ج. برجستراسر، ٣ج: ٢٨٨/١، ٤٤٦.

٧- سعد بن سعيد بن قيس، الأنصاري، المدني (ت١٤١هـ)[١].

٨- سليمان بن طرخان التيمي (ت١٤٣هـ)[٢].

٩- سليمان بن مهران الأسدي (الأعمش) (ت١٤٥هـ)[٣].

١٠- أبو إسحاق الفزاري: إبراهيم بن محمد، من أقران ابن المبارك(ت١٨٥هـ)[٤].

ثالثاً: تلاميذه.

تلاميذه في الكثرة كشيوخه، فكما كان يتلقى على غيره، كان الناس يشدون الرحال إليه، والعامل الذي ساعد على كثرة طلابه هو كثرة رحلاته، ولذلك فان الذهبي، بعد أن عد جماعة من تلاميذه، قال: ((وأمم يتعذر إحصائهم، ويشق استقصائهم))[٥].

وقد أورد الحافظ المزي منهم ثلاثين ومائة[٦]، وبعض شيوخه كما نبهنا سابقاً كانوا تلاميذ له يروون عنه، كابي إسحاق الفزاري، وسفيان الثوري، وسفيان بن عيينه، ومعمر بن راشد الأزدي. ولذلك فان الذهبي بعد إيراده

---

(١) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٣/٤٧٠.

(٢) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٤/٢٠١، وشذرات الذهب، ابن العماد: ١/٢١٢.

(٣) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٤/٢٢٢.

(٤) شذرات الذهب، ابن العماد: ١/٣٠٧.

(٥) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٨/٣٨٠.

(٦) تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ المزي، يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي(ت٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ٣٥ج: ٢/٧٣٠-٧٣١.



لبعض تلاميذه قال: ((وطائفة من شيوخه))[١]. أي حدثوا عنه كما حدث عنهم، وقال الذهبي أيضاً: ((حدث عنه خلائق لا يحصون من أهل الأقاليم، فانه من صباه ما فتر عن السفر))[٢].

وقد تلقى عنه في خراسان عدد من المروزيين منهم الحسين بن الحسن بن حرب السلمي، راوي كتاب الزهد والوقائع (ت٢٤٦هـ)[٣]. والبخاريين منهم إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي والد الإمام البخاري[٤] والهرويين منهم إسماعيل بن إبراهيم الهذلي، أبو معمر القطيعي (ت٢٣٦هـ)[٥]، والبلخيين مثل إبراهيم بن يوسف البلخي، الماكياني صاحب الرأي (ت٢٣٩هـ)[٦]، وفي العراق طائفة من العلماء، فمن الكوفيين: عبد الله بن صالح، أبو صالح العجلي (ت٢٢٣هـ)[٧]، ومن البصريين: مسلم بن إبراهيم الأزدي الفراهيدي مولاهم، أبو عمرو الحافظ (ت٢٢٢هـ)[٨].

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣٨٠/٨، وطبقات الحفاظ، السيوطي: ١١٧/١.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣٨٠/٨.

(٣) شذرات الذهب، ابن العماد: ١١١/٢.

(٤) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ٢٧٤/١– ٢٧٥.

(٥) شذرات الذهب، ابن العماد: ٨٦/٢.

(٦) الثقات، ابن حبان: ٧٦/٨.

(٧) شذرات الذهب، ابن العماد: ٥١/٢.

(٨) شذرات الذهب، ابن العماد، ٥٠/٢، وتهذيب الكمال، الحافظ المزي: ٧٣١/٢.



المطلب الرابع

وفــــــاتــه

اختلفت النقول في تاريخ وفاته على عدة أقوال وهي على النحو الآتي:

القول الأول: أنها كانت سنة (إحدى وثمانين ومائة)، روي ذلك عن الفضيل بن عياض، والحسن بن الربيع، وهو المشهور عن أحمد بن حنبل، ورواية عن علي بن المدني، وإليه ذهب جمهور المحدثين والمؤرخين[١].

القول الثاني: أنها كانت سنة (اثنتين وثمانين ومائة) وهو الرواية الأخرى عن أحمد[٢]، وأوردها ابن خلكان بصيغة الشك بعد أن ذكر ما في القول الأول[٣].

القول الثالث: أنها كانت سنة (ثمانين ومائة) وهذا القول عزاه (طاش زاده)[٤]، إلى (الصيمري) و(السمعاني)، لأني أطلعني على كتابيهما[٥].

القول الرابع: أنها كانت سنة (تسع وسبعين ومائة)، روى ذلك ابن عساكر عن نعيم بن حماد وعلي بن المديني في قول آخر عنه وغيرهما. (ويرده) أن ابن عساكر

---

[١] تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، ١٠/١٦٨، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، ٦٢/٢٥١، والثقات، ابن حبان: ٧/٧.

[٢] مسائل الإمام أحمد برواية النيسابوري، الإمام أحمد: ١/١٠٥.

[٣] وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٣/٣٤.

[٤] مفتاح السعادة، طاش زاده: ٢/٢٤٧.

[٥] أخبار أبي حنيفة وأصحابه، الصيمري، الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبدالله الحنفي (ت٤٣٦هـ)، عالم الكتب- بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م، ١ج: ١/٣٩- ١٤٢.

عقب على روايته قائلاً أنها(تحذف): (وهم المحفوظ وما رواه بسنده عن عبدان أن وفاته كانت سنة إحدى وثمانون ومائة))[١].

القول الخامس: أنها كانت سنة (إحدى وستين ومائة) وهذه الرواية في ((مروج الذهب))[٢]، وهي بلا شك زلة قلم؛ لأنها أقحمت بين أحداث سنة (تسع وسبعين ومائة) و(اثنتين وثمانين ومائة) إذ اراد الناسخ أن يكتب (إحدى وثمانين) فسبقه قلمه إلى الخطأ.

والراجح عندي (القول الأول) لشهرته، ولما سبق من ردود العلماء على الأقوال الأخرى، ولأن الحسن بن الربيع الذي لم يعرف له قول مخالف قد فصل لنا في رواية له يوم وساعة ومكان وفاته، وهو ممن حضرها بقوله: ((شهدت موت ابن المبارك، مات سنة إحدى وثمانين ومائة في رمضان لعشر مضين منه، مات سحرًا ودفناه بهيت))[٣]، وفي سير اعلام النبلاء: ((شهدت موت ابن المبارك، مات لعشر مضى من رمضان، سنة إحدى وثمانين ومائة، ومات سحرا، ودفناه بهيت))[٤] ومعلوم أن الشاهد للواقعة والراوي لها ليس كالغائب.

وهناك عدة روايات تؤكدان أن وفاته كانت في شهر رمضان[٥] منها، ما روي عن عبد الرحمن بن عبيد الله قال: ((كنا عند الفضيل بن عياض في شهر رمضان سنة

---

[١] تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٢٦٢٩/١.

[٢] مروج الذهب، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، ١٩٦٧م: ٣٥٠/٣.

[٣] تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ٤٠٠/١١.

[٤] سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٣٩١/٧.

[٥] ينظر: شذرات الذهب، ابن العماد: ١٩٥/١.

إحدى وثمانين ومائة، فنعي إليه خبر ابن المبارك، فقال: ما خلف أحد مثله))[١]. أما يوم وفاته، فلم يخالف فيه إلا ابن الجوزي حيث قال: بأنه ((توفي لثلاث عشرة خلون من رمضان))[٢].

ويرد بأنه قد انفرد بنقل ذلك من غير إسناد عمن شهد أو سمع كالحسن بن الربيع، الذي أسلفنا روايته.

والخلاصة: أن ابن المبارك توفي ((قبيل فجر يوم الحادي عشر من شهر رمضان سنة ١٨١هـ الموافقة لسنة ٧٩٧م))[٣].

---

[١] تاريخ دمشق، ابن عساكر: ٢٥٣/٦.

[٢] صفة الصفوة، ابن الجوزي: ١٢٧/٤.

[٣] الأعلام، الزركلي: ٣٥٦/٤.



المبحث الثاني

إثبات الصفات وتقسيمها والأدلة عليها

المطلب الأول

التعريف بالصفات وإثباتها وتقسيمها

١. **معنى الصفة في اللغة.**

هي معنى قائم بالذات دال عليه كدالة اللفظ على الكتابة[١]، والصفة في الأصل مصدر وصفت الشيء إذا ذكرته بمعانٍ فيه لكن جعل في الاصطلاح عبارة عن كل أمر زائد على الذات يفهم في ضمن فهم الذات ثبوتياً كان أو سلبياً فيدخل فيه الألوان، والأكوان، والأصوات، والإدراكات وغير ذلك، والعلاقة بين الصفة والموصوف هي النسبة الثبوتية وتلك النسبة إذا اعتبرت من جانب الموصوف يعبر عنها بالاتصاف وإذا اعتبرت من جانب الصفة يعبر عنها بالقيام[٢].

٢. **معنى الصفة عند الإمام عبد اللّه بن المبارك وعند المتكلمين وأرباب العقائد.**

فقد وصف الإمام عبد الله بن المبارك صفات الله تعالى بأنها: تقوم به موجودة بوجوده دائمة بدوامة ليست بأعراض ولا بأغيار ولا حالة في أعضاء غير مكيفة

---

[١] الكليات، أبو البقاء أيوب موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م: ٥٤٥-٥٤٦، والتعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف(ت٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ١ج: ١/٧٦.

[٢] التعريفات، الجرجاني: ١/٧٦.

بالتصور في الأذهان ولا مقدورة بالتمثيل في الأوهام مباين لخلقه منفصل، عنه ليس له حد[١].

وهي ما يجب لله تبارك وتعالى عقلاً وشرعاً من حقائق معنوية الإدراك قائمة بذاته سبحانه وتعالى لائقة به ولا يقال عنها عين الموصوف ولا غيره[٢].

٣. إثبات الصفات.

لقد ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة آيات وأحاديث تثبت عن الله صفاته العلى، وكان الصحابة الكرام مقرين ومثبتين لهذه الصفات ومسلمين لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ولم يخوضوا في تفاصيلها وكان التوحيد الخالص هو دأبهم ولم يخوضوا في السجلات العقائدية حول هذه الصفات.

ويبين لنا الإمام المقريزي، موقف الصحابة فيقول: ((من أمعن النظر في دواوين الحديث النبوي الشريف ووقف على الآثار السلفية علم أنه لم يرد قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة ﷺ على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم أنهم سألوا رسول الله ﷺ عن معنى شيء، مما وصفه الرب سبحانه وتعالى به نفسه الكريمة في القرآن الكريم، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ بل كلهم فهموا معنى ذلك وسكتوا عن الكلام في الصفات، ولا فرّق أحد منهم بين صفة الذات أو صفة الفعل وإنما أثبتوا له سبحانه

---

[١] ينظر: الدفاع عن حديث الجارية، تصنيف عبدالله بن فهد الخليفي: ١/٨٥-٨٦.

[٢] ينظر: الفتح المبين في براءة الموحدين من عقائد المشبهين، الدكتور عيسى بن عبدالله مانع الحميري، دار السلام، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٠م: ٤٣، و حاشية الدسوقي على أم البراهين، المطبعة الأزهرية المصرية، ط١، ١٣١٣هـ: ١٠٩.

وتعالى صفات أزلية من العلم والقدرة والحياة والإرادة والسمع والبصر والكلام والجلال والإكرام والجود والأمانة والعز والعظمة وساقوا الكلام سوقاً واحداً))[١].

ويبين الإمام الشهرستاني اعتقاد المعتزلة في الصفات فيقول: (فالذي يعم طائفة المعتزلة من الاعتقاد القول بأن الله تعالى قديم والقدم أخص وصف لذاته ونفوا الصفات القديمة أصلاً، فقالوا هو عالم بذاته قادر بذاته حي بذاته لا بعلم وقدرة وحياة هي صفات قديمة ومعانٍ قائمة به؛ لأنه لو شاركته الصفات في القدم الذي هو أخص الوصف لشاركته في الإلهية واتفقوا على أن كلامه محدث مخلوق في محل وهو حرف وصوت وأمثاله في المصاحف حكايات عنه فإنما وجد في المحل عرض فقد فنى في الحال واتفقوا على أن الإرادة والسمع والبصر ليست معاني قائمة بذاته لكن اختلفوا في وجوه وجودها ومحامل معانيها واتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالأبصار في دار القرار ونفي التشبيه عنه من كل وجه جهة ومكاناً وصورة وجسماً وتحيزاً وانتقالاً وزوالاً وتغيراً وتأثراً وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها وسموا هذا النمط توحيداً)[٢].

وأما أهل السنة والجماعة فقد اثبتوا الصفات الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل وبذلك صار مذهبهم مذهباً وسطاً بين المشبهة وبين المعتزلة.

---

[١] المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، أحمد بن علي بن عبدالقادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين(ت٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، ٤ج: ٤/١٨٨.

[٢] الملل والنحل: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبدالكريم بن أبى بكر أحمد(ت٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي، ٣ج: ١/١٤٠-١٤١.



وسأبين الصفات التي أثبتها أهل السنة والجماعة عند الحديث عن تقسيم هذه الصفات.

وأما الإمام عبد الله بن المبارك، فقد اثبت صفات الله تعالى الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية من غير تشبيه فيقول: ((فلله عز اسمه أسماء وصفات وصفاته أوصافه))[(١)]، وقال أيضاً: ((ما ورد به خبر الصادق نؤمن به ونحمله على وجه يصح))[(٢)]، وقال أيضاً: (إثبات الباري جلّ جلاله ليقع به مفارقة التعطيل وإثبات وحدانيته لتقع به البراءة من الشرك وإثبات أنه ليس بجوهر ولا عرض ليقع به البراءة من التشبيه)[(٣)]. وقال أيضاً: ((أنا أشد الناس كراهة لذلك ولكن إذا نطق الكتاب بشيء وإذا جاءت الآثار بشيء جرنا عليه – ونحو هذا))[(٤)].

وأحب أن أبين فضلاً عما ذكر نظرة الإمام عبد الله بن المبارك لذات الله تعالى وصفاته بشيء من قوله؛ إذ يبين الإمام عبد الله بن المبارك هذه النظرة بمعنى قوله حقيقة المعرفة أن تعرفه موجوداً قديماً لم يزل ولا يفنى، أحداً صمداً، شيئاً واحداً لا يتصور في الوهم ولا يتبعض ولا يتجزأ ليس بجوهر ولا عرض ولا جسم قائماً بنفسه مستغنياً عن غيره حياً، وقادراً، وعالماً، ومريداً،

---

(١) ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي: ٨/٣٥٥-٣٥٦.

(٢) المصدر السابق: ٨/٣٥٦.

(٣) المصدر نفسه: ٨/٣٥٦.

(٤) أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة، اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور (ت١٤٠٢هـ)، تحقيق: أحمد سعدون حمدان، دار طيبة- الرياض: ٣/٤٧٨-٤٧٩، و تذكرة الحفاظ، الذهبي: ٣/١٠٥٣.

وسميعاً وبصيراً، ومتكلماً، له الحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام لم يزل ولا يزال هو بهذه الصفات ولا يشبه شيء منها شيئاً من صفات المصنوعات[١].

ثم يبين الإمام عبد الله بن المبارك مالا يجوز على الله سبحانه وتعالى بمعنى قوله وهو المتعالي عن الحدود والجهات والأقطار والغايات المستغني عن الأماكن والأزمات لا تناله الحاجات ولا تمسه المنافع والمضرات ولا تلحقه اللذات ولا الدواعي ولا الشهوات ولا يجوز عليه شيء، مما جاز على المحدثات فدل على حدوثها.

ومعناه أنه لا يجوز عليه الحركة، ولا السكون، والاجتماع، والافتراق، والمحاذاة، والمقابلة، والمماسة، والمجاورة، ولا قيام حادث به، ولا بطلان صفة أزلية عنه ولا يصح عليه العدم[٢].

فيتبين لنا بصراحة ووضوح من خلال كلام الإمام عبد الله بن المبارك أنه مثبت لجميع ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية ولكن من دون تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل.

٤. **تقسيم الصفات.**

إن أهل السنة والجماعة كما علمنا يثبتون كل ما وصف الله به نفسه في القرآن الكريم والسنة النبوية ويقرون بكل ما جاء به الشرع في ذلك ولكن العقيدة الإسلامية حالها كحال العلوم الأخرى تنشأ فيها مصطلحات ثم تنضج وتستقر، وهذه المصطلحات إنما هي للتعليم والتبسيط حتى ترسخ في نفوس الأمة مسائل العقيدة، وإلا فإن الصحابة

---

[١] ينظر: الرد القويم البالغ على الكتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ، الأستاذ الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي، دار المأثر- المدينة المنورة: ١٥٧/١.

[٢] ينظر: الدفاع عن حديث الجارية، عبدالله بن فهد: ٨٦/١.

الكرام كانوا مؤمنين بكل ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية ولكن لم يقولوا مثلاً أن وجود الله صفة له تسمى صفة نفسية؛ لأن هذا المصطلح وجد بعدهم فكل تقسيم واصطلاح يطلق على الصفات إنما هو لمجرد الترتيب والتعليم لا أكثر وحتى الاختلاف بين أهل السنة في التقسيم إنما هو اختلاف بالترتيب وبالجمع فكل حاول أن يقسم الصفات تقسيماً تندرج تحته كل الصفات الواردة في القرآن الكريم والسنة النبوية[١].

ولذلك تنوعت التقسيمات عند أهل السنة والجماعة فالمتقدمون من الأشاعرة والماتريدية ومن تبعهم قسموا الصفات على صفات ذات وصفات فعل والمتأخرون منهم ومن تبعهم قسموا الصفات على أربعة أقسام هي: الصفة النفسية، والصفات السلبية، وصفات المعاني، والصفات المعنوية، وسأبين كل قسم من هذه الأقسام ثم نرى الإمام عبد الله بن المبارك أي تقسيم ارتضى.

التقسيم الأول:

أ- صفة الذات: وقد سميت ذاتية؛ لأنها لا تنفك عن الذات وهي ما استحق أن يوصف الله بها فيما لم يزل ولا يزال أو مالا يجوز أن يوصف بضدها كالقدرة والسمع والبصر... الخ[٢].

---

[١] ينظر: الشوكاني وجهوده في علم الكلام، عبدالله برك عوض بالغيور، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة صدام للعلوم الإسلامية، ١٤٢٢هـ: ١٣٠-١٣٥.

[٢] ينظر: الإنصاف في علم الكلام، الباقلاني، القاضي أبو بكر بن محمد(ت١٤٠٣هـ)، تحقيق: عماد الدين حيدر، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م: ٣٥/١، و أصول الدين الإسلامي، الدكتور رشدي عليان والدكتور قحطان الدوري: ١٤١.

ب-صفة الفعل: وهي ما استحق أن يوصف الله بها فيما لا يزال دون الأزل كالإحياء والرزق والإماتة أو ما يجوز أن يوصف بضدها كالرحمة والغضب[1].

وصفات الذات يتصف الله بها منذ الأزل إلى الأبد وهذا معنى فيما لم يزل ولا يزال، وأما صفات الفعل فإن الله لم يكن متصفاً بها منذ الأزل وإلا لزم مثلاً قدم العالم، وهو الآن متصف بها فصفة الخلف مثلاً الله متصف أزلاً بقدرته على الخلق وهذا ما يسمى تعلق صلوحي قديم وحين اقتضت إرادة الله خلق العالم وجد هذا العالم وهذا ما يسمى تعلق تنجيزي حادث، وهذا معنى أن الله متصف بصفات الفعل فيما لا يزال دون الأزل.

التقسيم الثاني:

أ- الصفة السلبية: وهي كل صفة مدلولها عدم أمر لا يليق بالله سبحانه وهذه الصفات كثيرة الجزئيات؛ لأن كل نقص إنما ينفى بضده والنقائض كثيرة الأشكال والأنواع إلا أن هناك خمس صفات هي أمهات الصفات السلبية كلها فيكتفي بها دون ما سواها من الجزئيات الكثيرة وهذه الخمس هي الوحدانية، والقدم، والبقاء، والقيام بالذات، والمخالفة للحوادث[2].

---

(١) ينظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الاشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت٣٢٤هـ)، تحقيق: محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م: ١٩- ٢٢، والإنصاف في علم الكلام، الباقلاني: ٣٦.

(٢) ينظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الأشعري: ٢١، وأصول الدين الإسلامي، الدكتور رشدي عليان والدكتور قحطان الدوري: ١١٧.

ب-الصفة النفسية: وهي (صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس الذات دون معنى زائد عليها وهي صفة واحدة هي الوجود)[١].

ج- صفات المعاني: هي كل صفة قائمة بذاته سبحانه وتعالى تستلزم حكماً معيناً له كصفة العلم مثلاً، فهي تستلزم أن يكون المتصف بها عليماً وصفات الكمال لله تعالى كثيرة لكنها تجتمع في سبع صفات رئيسة وهي العلم، والإرادة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام، والحياة[٢].

د- الصفات المعنوية: فهي ليست أكثر من نتائج لصفات المعاني أي هي الأحكام التي تترتب على ثبوت صفات المعاني وهي كونه ﷻ قديراً، ومريداً، وعليماً، ومتكلماً، وحياً[٣].

ونلحظ من خلال التقسيمات التي ذكرناها أن الاختلاف في التقسيم لا يعدو أن يكون خلافاً في الترتيب والجمع فمثلاً الكل يثبت صفات المعاني السبعة ولكن قسم منهم أدرجها في صفات الذات وقسم آخر جعلها في صفات المعاني إذن هناك خلاف بين فرق جمهور أهل السنة في قضية الشكل وما يتبعها من أحكام مثل الماتريدية وقولهم وتقسيماتهم في الصفة المعنوية.

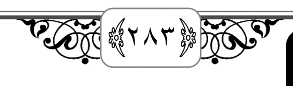
وخلافهم واضح من الأشاعرة في قضية القدرة، والإرادة، والحياة ...الخ وكذلك خلافهم في الجوهر المضمون في بعض الصفات ولكن الغالب هم متفقون في الأعم.

---

(١) أصول الدين الإسلامي، الدكتور رشدي عليان والدكتور قحطان الدوري: ١١٥.

(٢) ينظر: أصول الدين الإسلامي، الدكتور رشدي عليان والدكتور قحطان الدوري: ١٤١.

(٣) ينظر: شرح المواقف: الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد(ت٨١٦هـ)، مطبعة السعادة- مصر، ط١، ١٣٢٥هـ-١٩٠٧م، ٣/٥٠-٥٤، و حاشية الدسوقي على أم البراهين: ١٠٩- ١٨٤.



ونلحظ أن التقسيم الثاني قد جعل صفات المعاني سبعاً والصفات السلبية خمساً وليس معنى هذا الحصر نفي بقية الصفات التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية، بل إن هذا الحصر لا يقتضي نفي بقية الصفات؛ لأن الذي اثبت صفات المعاني السبع قصده إن هذه السبع هي أمهات الصفات ومرجع للأقسام الكثيرة التي تندرج تحتها، فمثلاً صفة الإرادة تندرج تحتها صفة الغضب والرضا؛ لأن الغضب هو إرادة المعاقبة والرضا هو إرادة الإثابة وهاتان الصفتان أخص من الإرادة، فهذا مثال يوضح هذا الأمر وكذلك الحال في الصفات السلبية الخمس وإلا فإن الأشاعرة والماتريدية وغيرهم من أهل السنة من أصولهم الراسخة في العقيدة إثبات جميع الصفات التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة من دون تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل[1].

وأما الإمام عبد الله بن المبارك فإنه قد ارتضى أن يقسم صفات الله تعالى إلى صفات ذات، وصفات فعل وكل منهما ينقسم إلى عقلي وسمعي وهذه الأقسام هي:

أولاً: صفات الذات، وتقسم على:

أ- العقلية:

١- ما يدل على الذات دون معنى زائد عليه وهي: الوجود، والقدم.

٢- ما يدل على معنى زائد على الذات وهي: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والسمع، والبصر، والبقاء[2].

---

[1] ينظر: غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم(ت٦٣١هـ)، تحقيق: حسن محمود عبداللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة، ١٣٩١هـ: ١٣٠-١٣٣.

[2] ينظر: الرد القويم البالغ عن الخليلي الاباضي المسمى بالحق الدامغ، تأليف أ.د علي بن محمد ناصر الفقيهي: ١/٥٦.

ب- **السمعية**: وهي الوجه، واليدين، والعينين.

ثانياً: صفات الفعل، وتقسم على:

أ- **العقلية**: وهي الخلق، والرزق، والإحياء.

ب-**السمعية**: وهي الاستواء، والنزول، والمجيء[١].

هذه هي الأقسام الرئيسة للصفات عند الإمام عبد الله بن المبارك وسنتحدث عن تعريف كل هذه الصفات وأدلتها إن شاء الله.

المطلب الثاني

بيان الصفات وأدلتها

نبين في هذا المطلب معنى الصفات وأدلتها عند الإمام عبد الله بن المبارك وعند أهل السنة والجماعة، فنعرف الصفة عند أهل السنة والجماعة، ثم نعرج على تعريف الإمام عبد الله بن المبارك ونأخذ دليلاً نقلياً وآخر عقلياً، لأن الأدلة التي يسردها الإمام عبد الله بن المبارك في إثبات الصفات كثيرة جداً، فنورد دليلاً (نقلياً وعقلياً) على سبيل التمثيل.

أولاً: صفات الذات العقلية:

يعرف الإمام عبد الله بن المبارك الصفات العقلية فيقول ما كان طريق إثباته أدلة العقول مع ورود السمع به[٢]، وهي على قسمين:

---

[١] ينظر: كتاب الزهد والرقائق: ٣٣٩/١.

[٢] ينظر: المصدر نفسه: ٣٤٠/١.

القسم الأول: صفات الذات العقلية.

القسم الثاني: صفات الفعل العقلية.

ويعرف الإمام عبد الله بن المبارك صفات الذات العقلية فيقول أنها ما يدل على خبر المخبر عنه ووصف الواصف له به على صفات زائدات على ذاته قائمات به كوصف الواصف له بأنه حي، وعالم، وقادر، ومريد، وسميع، وبصير، ومتكلم[١]، وتتنوع صفات الذات العقلية إلى ما يأتي:

ه- الحياة: صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى يتأتى بها ثبوت الصفات المعنوية[٢].

وقد بين الإمام عبد الله بن المبارك ومن وافقه من أهل السنة معنى هذه الصفة فقال فهو حي وله حياة يباين بها صفة من ليس بحي[٣]، وقد استدل بأدلة كثيرة لإثبات هذه الصفة كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[٤].

و- العلم: وهو صفة أزلية متعلقة بجميع الواجبات والجائزات والمستحيلات على وجه الإحاطة على ما هي به من غير سبق خفاء[٥].

---

(١) ينظر: كتاب الزهد والرقائق: ٣٤٠/١.

(٢) ينظر: الانصاف في علم الكلام، الباقلاني: ٣٥، وأصول الدين الإسلامي، عبدالقاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م: ١٠٥، وحاشية الدسوقي على أم البراهين، ١٦٨، وتحفة المريد بجوهرة التوحيد، الباجوري: ٨٢.

(٣) ينظر: الرد القويم البالغ عن الخليلي الاباضي المسمى بالحق الدامغ، تأليف أ.د علي بن محمد: ١٥٦/١، والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، البيهقي، أحمد بن الحسين(ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط١، ١٤٠١هـ، ١ج: ٨٠/١.

(٤) سورة البقرة: من الآية: ٢٥٥.

(٥) ينظر: الانصاف في علم الكلام، الباقلاني: ٣٥، وأصول الدين الإسلامي، عبدالقاهر البغدادي: ٩٥.

ويبين الإمام عبد الله بن المبارك ومن وافقه من أهل السنة معنى هذه الصفة فيقول علم الله أزلي متعلق بالمعلومات عند حدوثها[١]، ويقول أيضاً وله علم يباين به صفة من ليس بعالم[٢]، ويقول: (علمه قد أحاط بالمعلومات كلها)[٣]، وقد استدل بأدلة كثيرة على إثبات هذه الصفة كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[٤].

أ- **القدرة:** صفة أزلية قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة[٥].

ويبين الإمام عبد الله بن المبارك معنى هذه الصفة فيقول وله قدرة يباين بها صفة من ليس بقادر[٦]، ويبين رحمه الله إن القوة والقدرة شيء واحد فيقول: (ما جاء في إثبات صفة القوة وهي القدرة)[٧].

واحتج بأدلة نقلية كثيرة إثبات هذه الصفة كقوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱلۡقَادِرُ﴾[٨]، وقد احتج الإمام عبد الله بن المبارك بدليل عقلي لإثبات صفة الحياة والعلم والقدرة فقال: ((فإن قال قائل وما الدليل على أنه حي عالم قادر؟

---

[١] ينظر: الرد القويم البالغ عن الخليلي الاباضي المسمى بالحق الدامغ، تأليف أ.د علي بن محمد: ١٥٧/١.

[٢] ينظر: المصدر السابق: ١/ ١٥٨.

[٣] ينظر: الدفاع عن حديث الجارية، عبدالله بن فهد: ٨٥/١.

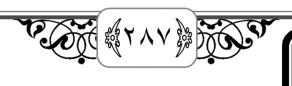
[٤] سورة النور: من الآية: ٣٥.

[٥] ينظر: الانصاف في علم الكلام، الباقلاني: ٣٥، وأصول الدين الإسلامي، عبدالقاهر البغدادي: ٩٣، وحاشية الدسوقي على أم البراهين: ١٥٢.

[٦] ينظر: أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة، اللالكائي: ١٤٥٨/٨.

[٧] المصدر نفسه.

[٨] سورة الأنعام: من الآية: ٦٥.



قيل: ظهور فعله دليل على حياته وقدرته وعلمه؛ لأن ذلك لا يصح وقوعه من ميت ولا عاجز ولا جاهل وإذا وقع في شيء لم يصح وقوعه من ميت ولا عاجز ولا جاهل دل ذلك على أنه بخلاف وصف من لا يتأتى ذلك منه ولا يكون بخلاف ذلك إلا وهو حي قادر عالم))[١].

ب- **الإرادة:** صفة قديمة زائدة على الذات قائمة به تخصص الممكن ببعض ما يجوز عليه من وجود وعدم وتكييف[٢].

يبين الإمام عبد الله بن المبارك أن المشيئة والإرادة شيء واحد ثم يذكر بعد ذلك معنى الإرادة فيقول المشيئة والإرادة عبارتان عن معنى واحد فهو مريد وله إرادة يباين بها صفة من يكون ساهياً أو مغلوباً أو مكرهاً[٣] واستدل بأدلة نقلية كثيرة كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[٤]، وأما الدليل العقلي الذي احتج به يبينه فيقول فإن قال قائل ما الدليل على أنه مريد؟ قيل: لأنه حي عالم ليس بمكره ولا مغلوب ولا به آفة تمنعه من ذلك وكل حي خلا مما يضاد العلم ولم يكن به آفة تخرجه من الإرادة كان مريداً مختاراً قاصداً[٥].

---

[١] السنة، لأبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم- الدمام، ط١، ١٤٠٦هـ: ١/١٠٩.

[٢] ينظر: الانصاف في علم الكلام، الباقلاني: ٣٦، وأصول الدين الإسلامي، عبدالقاهر البغدادي: ١٠٢، وحاشية الدسوقي على أم البراهين: ١٥٢، وتحفة المريد بجوهرة التوحيد، الباجوري: ٧٦.

[٣] شرح العقيدة الأصفهانية، أحمد بن عبدالحليم بن تيميه، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١٥هـ: ١/١١.

[٤] سورة الحج: من الآية: ١٤.

[٥] ينظر: العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية: ١/٢٥.

ج- **السمع:** صفة أزلية قائمة بذات الله تعالى تتعلق بالموجودات أو بالمسموعات فتدرك إدراكاً تاماً لا على طريق التخيل والتوهم ولا على طريق تأثير حاسة ووصول هواء(١).

وقد بين الإمام عبد الله بن المبارك معنى هذه الصفة، فقال: (وله سمع يدرك به جميع المسموعات)(٢).

واستدل بأدلة نقلية كثيرة كقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(٣).

د- **البصر:** وهو صفى أزلية قائمة بذات الله تعالى تتعلق بالمبصرات أو الموجودات فتدرك إدراكاً تاماً لا على طريق التخيل والتوهم ولا عن طريق تأثر حاسة ووصول شعاع(٤).

وقد بين الإمام عبد الله بن المبارك معنى هذه الصفة، فقال: وله بصر يدرك به جميع المبصرات(٥)، ويرى رحمه الله أن البصر والرؤية عبارتان عن معنى واحد فقيل ما جاء في إثبات صفة البصر والرؤية وكلتاهما عبارتان عن معنى واحد(٦).

---

(١) ينظر: الانصاف في علم الكلام، الباقلاني، ٣٧، وأصول الدين الإسلامي، عبدالقاهر البغدادي: ٩٦، وحاشية الدسوقي على أم البراهين: ١٧١، وتحفة المريد بجوهرة التوحيد، الباجوري: ٨٥.

(٢) الزهد والرقائق، ٣٤٠/١، والاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، البيهقي: ١٧٥.

(٣) سورة المجادلة: الآية: ١.

(٤) ينظر: الانصاف في علم الكلام، الباقلاني: ٣٧، وأصول الدين الإسلامي، عبدالقاهر البغدادي: ٩٧.

(٥) أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة، اللالكائي: ٥٦/١.

(٦) ينظر: الأسماء والصفات، البيهقي: ١٧٨.

وقد استدل هو ومن وافقه من أهل السنة بأدلة نقلية كثيرة لإثبات هذه الصفة كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾[١]، وأما الدليل العقلي المثبت للسمع والبصر يبينه الإمام عبد الله بن المبارك فقال فإن قال قائل: وما الدليل على أنه سميع بصير؟ قيل: لأنه حي ويستحيل وجود حي يتعرى عن الوصف بما يدرك المسموع والمرئي أو بالآفة المانعة منه ويستحيل تخصيصه من أحد هذين الوصفين بالآفة لأنها منع والمنع يقتضي مانعاً وممنوعاً ومن كان ممنوعاً كان مغلوباً وذلك صفة الحدث والباري قديم لم يزل وهو سميع بصير لم يزل ولا يزال[٢].

هـ- **الكلام:** هو صفة أزلية قائمة بذات الله ﷻ ليست بحرف ولا صوت منزهة عن التقدم والتأخر والإعراب والبناء ومنزهة عن السكوت النفسي بأن لا يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه ومنزهة عن الآفة الباطنية بأن لا يقدر على ذلك كما في حال الخرس والطفولية[٣].

وقد بين الإمام عبد الله بن المبارك معنى هذه الصفة، فقال: ((فهو متكلم وله كلام يباين به صفة الأخرس والساكت))[٤]، واستدل بأدلة نقلية كثيرة لإثبات هذه الصفة كقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[٥]، وأما الدليل العقلي فقيل عنه، فإن قال قائل: وما الدليل على أنه متكلم؟ قيل: لأنه حي ليس بساكت ولا به آفة تمنعه من

---

[١] سورة الإسراء: من الآية: ٩٦.

[٢] ينظر: الزهد والرقائق: ١/٣٤٠- ٣٤١.

[٣] ينظر: الانصاف في علم الكلام، الباقلاني، ٣٧، وأصول الدين الإسلامي، عبدالقاهر البغدادي: ١٠٦.

[٤] أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة، اللالكائي: ١/ ٥٦، وشرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيمية: ١٤١٥.

[٥] سورة النساء: الآية: ١٦٤.

الكلام، وكل حي كان كذلك كان متكلماً؛ ولأنه يستحيل لزوم الخطاب ووجود الأمر عمن لا يصح منه الكلام فوجب أن يكون متكلما[١].

و- **البقاء:** البقاء هو عدم الآخرية لوجود الله سبحانه وتعالى(٢)، وقد استدلوا بأدلة نقلية على إثبات صفة البقاء كقوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[٣].

إن هذه الصفة قد حصل فيها اختلاف بين أهل السنة والجماعة ومبنى الخلاف هل هذه الصفة هي من صفات المعاني أو صفة نفسية كالوجود أو من الصفات السلبية، فذهب الإمام الأشعري ومن تبعه إلى أنها صفة زائدة على الذات كالعلم والقدرة ...الخ، وذهب الإمام عبد الله بن المبارك إلى أن البقاء صفة نفسية كالوجود ومعناها: الوجود المستمر فيما لا يزال أي في المستقبل إلى غير نهاية وتابع الإمام عبد الله بن المبارك في رأيه إمام الحرمين والرازي والغزالي وغيرهم[٤].

وذهب قسم من أهل السنة والجماعة إلى أن البقاء صفة سلبية ومعناها نفي العدم اللاحق بعد الوجود أو عدم الآخرية للوجود وهو الراجح[٥]، وقد استدل من قال بنفي العدم أن يكون البقاء صفة زائدة على الذات بأن لو كان البقاء صفة زائدة على

---

[١] ينظر: شرح العقيدة الأصفهانية، ابن تيميه: ١٤١٥.

[٢] ينظر: تحفة المريد بجوهرة التوحيد، الباجوري: ٦٦.

[٣] سورة الرحمن: الآية: ٢٧.

[٤] ينظر: فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(ت٥٠٥هـ)، المطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، ٢٣٨، وشرح المواقف، الجرجاني: ٣/ ١٤٣.

[٥] ينظر: حاشية الدسوقي على ام البراهين: ١٢٠-١٢٤.

نفس الوجود لزم أن يكون للبقاء بقاء ويكون قائماً بالبقاء وذلك ممتنع؛ إذ ليس قيام أحدهما بالآخر بأولى من الغير لاشتراكهما بالحقيقة واتحادهما في الماهية[١].

إن القول بأن البقاء صفة زائدة على الذات يلزم التسلسل؛ لأنه لو كان زائداً لكان له بقاء ويتسلسل[٢].

ولو احتاج إلى الذات لزم الدور وإلا لكان الذات محتاجاً إليه وكان هو مستغنياً عن الذات فكان هو الواجب دون الذات[٣].

وقد أجيب عن الأول: بأن البقاء نفس البقاء[٤]، فلا يلزم التسلسل، وأجيب عن الثاني بمنع احتياج الذات إليه وإن اتفق تحققها معاً[٥].

لكن يقال إن منع التسلسل بهذا التوجيه وهو أن بقاء البقاء نفس البقاء ليس بشيء، لأن هذا القول يفيد أن بقاء البقاء أمر اعتيادي لا وجود له في الخارج وهذا مما لا يمكن أن يقول به الأشعرية ومن تبعهم من الذين ذهبوا إلى أن البقاء صفة وجودية زائدة على الذات.

ولكن يمكن أن يمنع التسلسل بأن يقال إن مذهب الأشعرية أنّ الأعراض لا تبقى بل تتجدد فلم لا يجوز إذن أن يبقى الوجود ببقاءات متجددة، والتسلسل إنما هو في الأمور الموجودة الثابتة في الخارج.

---

(١) ينظر: غاية المرام في علم الكلام، الآمدي: ١٣٦.

(٢) ينظر: شرح المواقف، الجرجاني، ١٤٣/٣، وحاشية الدسوقي على ام البراهين: ١٢٣.

(٣) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي(ت٥٠٥هـ)، وضع حواشيه: عبدالله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م، ١ج: ٣٣/١.

(٤) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ٣٦، وشرح المواقف، الجرجاني: ١٣٤/٣.

(٥) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ٣٦.

ثانياً: أحكام صفات الذات العقلية:

إن لصفات الذات العقلية (صفات المعاني) أحكام خاصة بها توضح معالمها وترسخ معانيها وهذه الأحكام هي:

الحكم الأول: زيادة الصفات على الذات:

إن هذا الحكم أثبته أهل السنة والجماعة لصفات الذات أو الصفات المعنوية وبينوا أن الصفات السبع ليست هي الذات بل هي زائدة على الذات، وذهبت المعتزلة والفلاسفة إلى إنكار

ذلك وقالوا القديم ذات واحدة قديمة ولا يجوز إثبات ذوات قديمة متعددة[١].

وقد رد أهل السنة والجماعة على قول المعتزلة بما يلي:

١- إن المعتزلة ناقضوا أنفسهم في صفتين؛ إذ قالوا إنه مريد بإرادة زائدة على الذات ومتكلم بكلام هو زائد على الذات إلا أن الإرادة يخلقها في غير محل والكلام يخلقه في جسم جماد ويكون هو المتكلم به.

٢- العالم في الشاهد من قام به العلم ولا يختلف الأمر غالباً وشاهداً؛ لأن العلم واحد والشرط واحد فعله كون الشخص عالماً هو العلم وكذلك الأمر غائباً.

٣- إن هذه الصفات لو لم تكن زائدة على الذات لكان مفهوم كونه حياً عالماً قادراً نفس ذاته ولم يكن لجمعها في ذاته فائدة، وكان قولنا على طريقة الإخبار الله الواجد أو القادر بمعنى حمل الشيء على نفسه واللازم باطل.

---

[١] ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ٧٥.

٤- لو كانت هذه الصفات نفس ذاته لكان المفهوم منها كلها أمراً واحداً، وذلك ضروري البطلان[١].

وأما الإمام عبد الله بن المبارك، فإنه يذهب بالقول بهذا الحكم لهذه الصفات، ويرى أن هذه الصفات زائدة على الذات[٢].

وقد استدل الإمام عبد الله بن المبارك بدليلين نقلي وعقلي، فأما النقلي ففي قوله: ((فإن قال قائل وما الدليل على أنه حي، وقادر، وعالم، ومريد، وسميع، وبصير، ومتكلم، له الحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام؟ قيل: لأنه يستحيل إثبات موجود بهذه الأوصاف مع نفي هذه الصفة عنه، وحين لزم إثباته بهذه الأوصاف لزم إثبات هذه الصفات له قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[٣]، أي علمه قد أحاط بالمعلومات كلها، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾[٤]))[٥].

وأما الدليل العقلي فإن الإمام عبد الله بن المبارك ومن وافقه من أهل السنة والجماعة يقولون ولأنه لو جاز عالم لا علم له لجاز علم لا لعالم به كما أنه لو جاز فاعل لا فعل له لجاز فعل لا لفاعل فلما استحال فاعل لا فعل له، كما استحال فعل لا فاعل له كذلك يستحيل عالم لا علم له كما يستحيل علم لا عالم ولا العلم أو لم يكن

---

[١] ينظر: اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الأشعري: ٢٠-٢١، والاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ٨٥

[٢] ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ٨٤.

[٣] سورة البقرة: من الآية: ٢٥٥.

[٤] سورة الذاريات: الآية: ٥٨.

[٥] البيهقي وموقفه من الالهيات: ٢١١/١.



شرطاً في كون العالم عالماً لم يضر عدمه في كل عالم حتى يصح كل عالم أن يكون عالماً مع عدم العلم وحين كان شرطاً في كون بعضهم عالماً وجب ذلك في كل عالم لامتناع اختلاف الحقائق في الموصوفين، ولأن أحكام الفعل يمتنع مع عدم علمنا به كما يمتنع مع كوننا غير عالمين به فكما وجب استواء جميع المحكمين في كونهم علماء كذلك يجب استواؤهم في كون العلم لهم لاستحالة وقوعه من غير ذي علم به منا كاستحالة وقوعه من غير عالم به منا، ولأن حقيقة العلم ما يعلم به العالم وبعدمه يخرج من كونه عالماً[1].

فالإمام عبد الله بن المبارك يبين أن العقل يحيل أن يكون هناك وصف لا يقوم بموصوف كما أنه يحيل أن يكون موصوف لا وصف له، ولو جاز ذلك لجاز أن يكون فاعل بدون فعل، وكذلك وجود فعل بدون فاعل فلما استحال الأمران استحال أيضاً أن يوجد موصوف بدون صفة أو صفة بدون موصوف فدل ذلك على وجوب قيام الصفة بموصوف، ومثلها مثل الفعل الذي لا يمكن وجوده إلا بفاعل كما لا يمكن وجود الفاعل ولا فعل له، وقد رد الإمام عبد الله بن المبارك على اعتراضات من يعترض في نفيهم أن تكون هذه الصفات زائدة على الذات، أي: إن الله يعلم بعلم ويقدر بقدرة ...الخ، فالإمام عبد الله بن المبارك قد بيّن من خلال كلامه وردوده على آراء مخالفيه أن فهم معنى اتصاف الله سبحانه وتعالى بهذه الصفات يحل كل مشكلة أو اعتراض قد يرد على هذا الاعتقاد فهذه الصفات لا هي عين الذات بمعنى أن مفهومها يختلف عن مفهوم الذات، وكذلك مفهوم كل صفة يختلف عن مفهوم الصفة الأخرى ولا هي غير الذات بمعنى أنها

---

(١) ينظر: الزهد والرقائق: ١/٣٤١.

ليست منفصلة عن الذات بل هي قائمة بالموصوف فبفهم هذا الكلام يزول أي اعتراض وهذا ما بينه الإمام عبد الله بن المبارك من خلال كلامه[١].

الحكم الثاني:

إن الإمام عبد الله بن المبارك قد وافق أهل السنة والجماعة إذ يرون أن هذه الصفات كلها قائمة بذاته لا يجوز أن يقوم شيء منها بغير ذاته سواء أكان في محل أم لم يكن في محل، وأما المعتزلة فإنهم حكموا بانّ الإرادة لا تقوم بذاته تعالى فإنها ليس محلاً للحوادث ولا تقوم بمحل آخر؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون ذلك المحل هو المراد فهي توجد لا في محل وزعموا أن الكلام لا يقوم بذاته؛ لأنه حادث، ولكن يقوم بجسم هو جماد، حتى لا يكون هو المتكلم به، بل المتكلم به هو الله سبحانه وتعالى[٢].

وقد ابطل الإمام عبد الله بن المبارك واهل السنة والجماعة كلام المعتزلة وبينوا ضعفه فبينوا أن الدليل لمّا دلّ على وجود الصانع سبحانه وتعالى دلّ بعده على أن الصانع تعالى بصفة كذا ولا نعني بأنه تعالى على صفة كذا إلا أنه تعالى على تلك الصفة ولا فرق بين كونه على تلك الصفة وبين قيام الصفة بذاته ومفهوم قولنا عالم واحد وبذاته تعالى علم واحد كمفهوم قولنا مريد وقامت بذاته تعالى إرادة واحدة، ومفهوم قولنا لم تقم بذاته إرادة وليس بمريد واحد فتسميته الذات مريدة بإرادة لم تقم به كتسميته متحركاً بحركة لم تقم به وإذا لم تقم الإرادة به فسواء أكانت موجودة أم معدومة فقول القائل إنه مريد لفظ خطأ لا معنى له، وهكذا المتكلم فإنه متكلم باعتبار كونه محلاً للكلام إذ لا فرق بين قولنا هو متكلم وبين قولنا قام الكلام به ولا فرق بين قولنا ليس

---

[١] ينظر: الزهد والرقائق: ١/١٤١- ١٤٢.

[٢] ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ٩٠.



بمتكلم وبين قولنا لم يقم بذاته كلام كما في كونه مصوتاً ومتحركاً فإن صدق على الله قولنا لم يقم بذاته كلام صدق قولنا ليس بمتكلم؛ لأنهما عبارتان عن معنى واحد[١].

واتفق الإمام عبد الله بن المبارك مع أهل السنة والجماعة على بيان فساد قول المعتزلة بأن الإرادة توجد لا في محل حيث قالوا، والعجب من قول المعتزلة إن الإرادة توجد لا في محل فإن جاز وجود صفة من الصفات لا في محل فليجز وجود العلم والقدرة والحركة بل الكلام فلم قالوا بخلق الأصوات في محل فالتخلق في غير محل وإن لم يعقل الصوت إلا في محل؛ لأنه عرض وصفة، فكذا الإرادة ولو كان ضد هذا لقيل إنه خلق كلاماً لا في محل وخلق إرادة في محل لكان الضد كالطرد[٢].

أما الإمام عبد الله بن المبارك فإنه يوافق أهل السنة والجماعة في هذه المسألة ويذهب إلى أن هذه الصفات قائمة بذات الله ﷻ بل هي نعوت له أزلية وصفات له أبدية تقوم به موجودة بوجوده دائمة بدوامه[٣].

الحكم الثالث: قدم هذه الصفات.

إن هذه الصفات كلها قديمة فإنها إن كانت حادثة كان القديم سبحانه وتعالى محلاً للحوادث وهو محال، أو كان يتصف بصفة لا تقوم به ذلك أظهر استحالة، ولم يذهب أحد إلى حدوث الحياة والقدرة، وإنما اعتقدوا ذلك في العلم بالحوادث، وفي الإرادة وفي الكلام[٤].

---

[١] ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ٩٠.

[٢] ينظر: المصدر نفسه: ٩١.

[٣] ينظر: الأربعين في أصول الدين، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين(ت٦٠٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آبد الدكن، ط١، ١٣٥٣هـ: ١١٧.

[٤] ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ٩١.

ومذهب أهل السنة والجماعة القول بمنع قيام الحوادث بذات الله تعالى ولكن هناك من خالف، منهم: ابن تيمية ومن تبعه حيث يرى أن حلول الحوادث في ذات الله تعالى بمحال وهو رأي الكرّامية أيضاً[١]. والأدلة على استحالة كون الله محلاً للحوادث هي:

الدليل الأول:

إن كان حادث فهو جائز الوجود والقديم الأزلي واجب الوجود ولو تطرق الجواز إلى صفاته لكان ذلك مناقضاً لوجوب وجوده فإن الجواز والوجوب يناقضان فكل ما هو واجب الذات فمن المحال أن يكون جائز الصفات وهذا واضح بنفسه[٢].

الدليل الثاني:

وهو الأقوى لو قدر حلول حادث بذاته لكان لا يخلو إما أن يرتقي الوهم إلى حادث يستحيل قبله حادث وإما لا يرتقي إليه بل كان حادث فيجوز أن يكون قبله حادث فإن لم يرتق الوهم إليه لزم جواز اتصافه بالحوادث أبداً، ولزم منه حوادث لا أول لها، وقد قام الدليل على استحالته وهذا القسم ما ذهب إليه أحد من العقلاء وإنْ ارتقى الوهم إلى حادث استحال قبله حدوث حادث فتلك الاستحالة لقبول الحادث في ذاته لا تخلو إما أن تكون لذاته أو لزائد عليه وباطل أن يكون لزائد عليه، فإن كل زائد يفرض ممكن تقدير عدمه فيلزم منه تواصل الحوادث أبداً وهو محال فلم يبق إلا أن استحالته من

---

[١] ينظر: الصفدية، ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية- مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ، ٢ج: ١/١٧٦.

[٢] ينظر: الأربعين في أصول الدين، الرازي: ١١٧.

حيث أن واجب الوجود يكون على صفة يستحيل معها قبول الحوادث لذاته فإذا كان ذلك مستحيلاً في ذاته أزلاً استحال أن ينقلب المحال جائزاً وينزل ذلك بمنزلة استحالته لقبول اللون أزلاً فإن ذلك يبقى فيما لا يزال لأنه لذاته لا يقبل اللون باتفاق العقلاء، ولم يجر أن تتغير تلك الاستحالة إلى الجواز، فكذلك سائر الحوادث فإن قبل هذا يبطل بحدث العالم، فإن كان ممكناً قبل حدوثه ولم يكن الوهم يرتقي إلى وقت يستحيل حدوثه قبله ومع ذلك يستحيل حدوثه أزلاً ولم يستحل على الجملة حدوثه[١].

الدليل الثالث:

هو إنا نقول إذا قدّرنا قيام حادث بذاته فهو قبل ذلك إما أن يتصف بضد ذلك الحادث أو بالانفكاك عن ذلك الحادث، وذلك الضد أو ذلك الانفكاك إذا كان قديماً استحال بطلانه وزواله؛ لأن القديم لا يعدم وإنْ كان حادثاً كان قبله حادث لا محالة كذا قبل ذلك الحادث حادث يؤدي إلى حوادث لا أول لها وهو محال[٢].

الحكم الرابع:

إن الأسامي المشتقة لله تعالى من هذه الصفات السبعة صادقة عليه أزلاً وأبداً فهو في القدم كان حياً قادراً عالماً سميعاً بصيراً متكلماً[٣].

وقد وافق الإمام عبد الله بن المبارك أهل السنة والجماعة في إثبات قدم هذه الصفات وقد استدل الإمام عبد الله بن المبارك لقدم هذه الصفات بدليل عقلي فقال: ((وما الدليل على أنه لم يزل حياً، وقادراً، وعالماً، ومريداً، وسميعاً، وبصيراً، ومتكلماً؟

---

[١] ينظر: الأربعين في أصول الدين، الرازي: ١١٧- ١١٨.

[٢] ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، للغزالي: ٩١- ٩٢، والأربعين في أصول الدين، الرازي: ١١٧- ١٢٠.

[٣] ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ١٠٠.

قيل: لأنه لو لم يكن كذلك لكان موصوفاً بأضدادها من موت أو عجز أو آفة ولو كان كذلك لاستحال أن يقع منه فعل وفي صحة الفعل منه دليل على أنه لم يزل كذلك ولا يزال كذلك))[١].

وإذا لم تكن هذه الصفات قائمة بذات الله ﷻ لكانت حادثة ولزم قيام الحوادث بذاته تعالى وهو محال وفي ذلك يقول: ((إنه لا يجوز عليه الحركة والسكون ... ولا قيام شيء حادث به))[٢]، ويقول أيضاً: ((والكلام في سائر الصفات الذاتية كالكلام في العلم تقتضي المماسة أو المقاربة في المكان وذلك صفة الأجسام التي هي الدلالة على بطلانها))[٣].

ثالثاً: صفات الفعل العقلية.

ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية صفات لله تعالى تدل على أفعاله ﷻ كالرزق والإحياء والإماتة والخفض والرفع وغير ذلك من الصفات، ولم يختلف المسلمون في إثبات هذه الصفات لله ﷻ وإنما اختلفوا في كونها قديمة أو حادثة على آراء ثلاثة:

الرأي الأول:

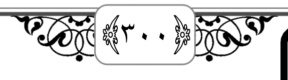
ذهب الأشاعرة والمعتزلة: إلى أن هذه الصفات محدثة؛ لأنها تتعلق بالعالم وتدبيره والعالم محدث وليس قديماً فثبت أن الله يتصف بها وقت دون وقت آخر لكن الأشاعرة خالفوا المعتزلة في صفتي الكلام والإرادة؛ إذ رآها الأشاعرة من صفات الذات فهما قديمتان بينما عدّها المعتزلة من صفات الفعل فهما حادثتان، فالأشاعرة يثبتون

---

[١] ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ١٠١.

[٢] المصدر نفسه: ١٠١.

[٣] المصدر نفسه: ١٠٢.



الصفات الفعلية لله ﷻ كالخلق مثلاً فيثبتون أن الله قادر على الخلق في الأزل وأن لم يخلق العالم، وحين خلق الله العالم في وقت معين وفق إرادته يكون خالق بالفعل[١]. وقد وافق الإمام عبد الله بن المبارك الأشاعرة على هذا الرأي[٢].

الرأي الثاني:

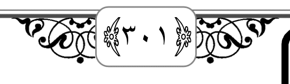
ذهب الماتريدية إلى أن هذه الصفات قديمة كصفات الذات إلا أنها ترجع إلى صفة واحدة هي التكوين، وعرفوها بأنها صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة، وهي غير القدرة فأثر القدرة صحة وجود المقدور من القادر وأثر التكوين هو الوجود بالفعل، واستدلوا على قولهم إن الباري ﷻ يكوّن الأشياء إجماعاً من دون صفة التكوين محال كالقدرة من غير قادر ويجب أن تكون هذه الصفة أزلية لامتناع قيام الحوادث بذات الله تعالى وتختلف أسماؤها بحسب اختلاف الآثار فمن حيث حصول المخلوقات بها تسمى تخليقاً والأرزاق ترزيقاً والصور تصويراً ...الخ، فهذه الصفة قديمة عندهم فيما لم يزل وآثارها حادثة فيما يزال فالتكوين غير المكون والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[٣]، إذ أخبر عن تكوينه بقوله (كُنْ) وعن المكون بقوله (فَيَكُونُ) ولأن الله تعالى قال في الأزل (كُنْ) أي ليكن كل ما يكون في وقته ولم ينعدم قوله لأنه متكلم قائل لم يزل ولا يزال بلا كيفية حتى إذا كان في وقته كان بناء على قوله ليكن، أي: ليوجد كل ما من شأنه أن يوجد في وقته المخصوص، وهذا لأنه لا يصح خطاب الموجود في وقته المخصوص، وهذا لأنه لا يصح خطاب الموجود بـ(كُنْ) إذ لا يوجد الموجود ثانياً وكذا المعدوم إذ هو ليس بشيء فيخاطب ولا يجوز أن يحدث الله

---

[١] ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، عبد الغنيمي الميداني الحنفي (ت١٢٩٨هـ)، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ومحمد رياض الملاح، دار الفكر – بيروت، ١٩٨٢م: ٥٥.

[٢] ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ٩١.

[٣] سورة البقرة: من الآية: ١١٧.



فعل أو قول لتعالي الذات عن الحوادث فوجب القول بأنه قال في الأزل ليكن كل ما يكون في وقته فلا يلزم قدم المفعول والمخلوق والمكون فكان ﴿كُن فَيَكُونُ﴾ عبارة عن سرعة الإيجاد بلا كلفة فلا يلزم القول بتسلسل الحوادث أو حوادث لا أول لها(١).

وقد أجاب الإمام عبد الله بن المبارك والأشاعرة على دليل الماتريدية: بأن لا يلزم من أطلاق خالق ومكون على الله تعالى أن يكون المشتق منه وهو الخلق والتكوين صفة وجودية زائدة على الذات بخلاف العلم والقدرة فإنهما من الصفات الذاتية التي لا تنفك عن الله تعالى وأما التكوين فإنه من الصفات الإضافية، إذ هو معنى يعقل من إضافة المؤثر إلى الأثر فلا يكون إلا فيما لا يزال ولا يفتقر إلا إلى صفة القدرة والإرادة(٢).

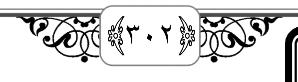
والذي دعاهم إلى نفي صفة التكوين خوفهم من القول بقدم العالم؛ لأنَّ إثبات صفة التكوين زائدة على الذات يؤدي ذلك إلى عدم الانفكاك بين التكوين والمكون فيلزم قدم العالم إلا أن الماتريدية يرون أنه لا مانع من أن يتصف الله تعالى في الأزل بهذه الصفة وتكون آثارها حادثة فيمكن الانفصال بين التكوين والمكون كما أوضحنا قبل قليل من كلامهم وفي الحقيقة أنه ليس هناك خلاف بين الأشاعرة ومن ضمنهم الإمام عبد الله بن المبارك وبين الماتريدية على أطلاق الصفات الفعلية على الله تعالى في الأزل ولكن الخلاف في صفة التكوين التي تجمع الصفات الفعلية هل هي زائدة على الذات أو لا؟ فالماتريدية قالوا بزيادتها على الذات والأشاعرة ومن وافقهم منعوا ذلك لأنهم يمنعون إطلاق الصفات الفعلية على الله تعالى في الأزل لا يصدق أزلاً(٣).

---

(١) ينظر: المسايرة في علم الكلام والعقائد التوحيدية المنجية في الآخرة، الكمال الهمام الحنفي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المطبعة المحمودية- مصر، ط١، ٣٧، وشرح العقيدة الطحاوية، الغنيمي الحنفي: ٥٥.

(٢) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبدالله (ت٧٩١هـ)، دار المعارف النعمانية- باكستان، ١٤٠١هـ-١٩٨١م، ٢ج: ٢/١٠٩-١١٠.

(٣) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني: ٢/١١٠.



ويوضح الإمام الغزالي فيقول: (ما يدل على الوجود مع إضافة إلى فعل من أفعاله كالجواد، والرزاق، والخالق، والمعز، والمذل، وأمثاله، وهذا مختلف فيه فقال قوم هو صادق أزلاً إذ لو لم يصدق لكان اتصافه به موجباً للتغيير وقال قوم لا يصدق إذ لا خلق في الأزل فكيف خالقاً والكاشف للغطاء من هذا أن السيف في الغمد يسمى صارماً وعند حصول القطع به، وفي تلك الحالة على الاقتران يسمى صارماً وهما بمعنيين مختلفين فهو في الغمد صارم بالقوة وعند حصول القطع صارم بالفعل، وكذلك الماء في الحب يقال عنه مروياً وعند الشرب يقال عنه مروياً وهما إطلاقان مختلفان فمعنى تسمية السيف في الغمد صارماً أن الصفة التي يحصل بها القطع في الحال لقصور في ذات السيف وحدته واستعداده بل لأمر آخر وراء ذاته، فالمعنى الذي يسمى السيف في الغمد صارماً يصدق اسم الخالق على الله تعالى في الأزل فإن الخلق إذا أُجري بالفعل لم يكن لتجدد أمر في الذات لم يكن بل كل ما يشترط لتحقق الفعل موجود في الأزل وبالمعنى الذي يطلق حالة مباشرة القطع للسيف اسم الصارم لا يصدق في الأزل، فهذا حظ المعنى فقد ظهر أن من قال أنه لا يصدق في الأزل فهو محق وأراد به المعنى الأول وإذا كشف الغطاء على هذا الوجه ارتفع الخلاف)[1].

فتبين ليس هناك خلاف بين الأشاعرة الذي تبنى مذهبهم شيخنا الإمام عبد الله بن المبارك والماتريدية في إثبات الصفات الفعلية وإطلاقها على الله أزلاً، ولكن خلافهم في إرجاع هذه الصفات إلى صفة التكوين ان الإمام عبد الله بن المبارك لا يرى في إطلاق خالق ومكون على الله تعالى أن يكون المشتق منه وهو الخلق والتكوين[2].

---

(1) الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي: ١٠١.

(2) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني: ٢/ ١١٠.

الرأي الثالث:

ذهب بن تيمية ومن وافقه من الأشاعرة وهو رأي الإمام عبد الله بن المبارك[١] إلى أن صفات الفعل قديمة كصفات الذات وكان يقول: إن كلام الله قديم الجنس حادث الأفراد وكذلك فعله وإرادته ونحو ذلك من صفات الفعل فالله يتكلم إذا شاء ولا يتكلم إذا لم يشأ والله دائم الفعل؛ لان القدرة على الفعل صفة كمال ودوام الفعل فهو أيضاً من الكمال والفرق بين الحي والميت الفعل فمن كان دائم الفعل ثبتت حياته والله حي فعال لما يريد وان كان هذا الكلام يستلزم حلول الحوادث بذاته تعالى ويلزم تسلسل الحوادث في جانب الماضي والمستقبل فابن تيمية لا يرفض ذلك ويجوزه[٢]، والفرق بين رأي ابن تيمية ومن وافقه من الأشاعرة وهو رأي الإمام عبد الله بن المبارك وبين رأي الماتريدية أن ابن تيمية يجوز حلول الحوادث بذات الله تعالى، ويجوز تسلسل الحوادث ويعدّ أن الكلام والإرادة من صفات الفعل وأما الماتريدية وإنْ قالوا أن صفات الفعل قديمة ولكنهم فرّوا بين التكوين والمكون حتى لا يلزم حلول الحوادث بذاته تعالى ولا يلزم تسلسل الحوادث في جانب الماضي والمستقبل فهم يرفضون فكرة أن كلام الله تعالى وفعله قديم الجنس حادث النوع بل يعتبرون أن الكلام والإرادة من صفات الذات، قدم العالم والمخلوقات مع الله سبحانه وتعالى ويلزم التغير في ذاته سبحانه وتعالى، ولكن نرى في

---

(١) ينظر: المسايرة في علم الكلام والعقائد التوحيدية المنجية في الآخرة، الكمال الهمام الحنفي، ٣٧، وشرح العقيدة الطحاوية، الغنيمي: ٥٥.

(٢) ينظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور علي حسن وآخرون، دار العاصمة–الرياض، ط١، ١٤١٤هـ–١٩٩٠م، ٣١٢/٣، ومنهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي(ت٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد سالم رشاد، ط١، ١٤٠٦هـ–١٩٨٦م، ٩ج، ١٦٦/١، ٣١٤/١: ٣٧٩/٢.

كتبه أنه ينفي قدم العالم ويعترف بحدوثه ثم نرى في مكان آخر من كتبه أن العالم ليس مخلوقاً ابتدأ من لا شيء بل مخلوق من مادة قبله ويرى أن هذه المادة مخلوقه ثم يلتزم القول بتسلسل الحوادث في الماضي[1].

واستدل الإمام عبد الله بن المبارك بأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية لإثبات هذه الصفات ولبيان حدوثها ومن هذه الأدلة:

١- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾[3]، إلى سائر ما ورد في الكتاب في معنى هذه الآيات.

٢- عن عمران بن حصين، قال: ((كنت جالسا عند رسول الله ﷺ، وناقتي معقولة بالباب، إذ دخل عليه نفر من بني تميم، فقالوا: يا رسول الله، جئناك لنتفقه في الدين، ونسأَلك عن أَوّل هذا الأمر ما كان؟ قال ﷺ: "كان الله وليس شيء غيره، وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، ثم خلق السماوات والأرض". قال: فجاء رجل، فقال: يا عمران، أَدْرِك ناقتك، فقد انفلتت، فإذا السراب ينقطع دونها، وايْم الله، لوددت أنى كنت تركتها))[4].

---

[1] ينظر: آراء الإمام البيهقي في العقيدة، أحمد حازم يحيى المشهداني، رسالة ماجستير، مقدمة إلى الجامعة الإسلامية، بغداد، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م: ١٠٦.

[2] سورة الأنعام: الآية ١٠٢.

[3] سورة الروم: من الآية: ٢٧.

[4] الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي(ت٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، ١٨ج، ٧/١٤، ح: ٦١٤٠، إسناده صحيح على شرط الصحيح.

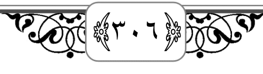
ثم شرح الإمام عبد الله بن المبارك هذا الحديث بقوله: ((كان الله ولم يكن شيء غيره)) يدل على أنه لم يكن من غيره لا الماء ولا العرش ولا غيرهما فكل ذلك أغيار. وقوله: ((وكان عرشه على الماء)) يعني به ثم خلق الماء وخلق العرش على الماء وبيان ذلك في حديث أبي رزين العقيلي عن النبي محمد ﷺ حين قال: ((ثم خلق العرش على الماء))[١].

من خلال كلام الإمام عبد الله بن المبارك والأدلة التي ساقها وشرحه لها إنه يثبت صفات الفعل العقلية ويرى حدوثها، ومن ثم يرى أنّ العالم الذي خلقه الله حادث وليس قديم ويؤخذ من هذا أنه لا يقول بتسلسل الحوادث ولا بحلول الحوادث بذاته تعالى فالله يتصف بالصفات الفعلية في الأزل بمعنى أن الله قادر على الخلق والإيجاد والإحياء والإماتة وأن لم يخلق في الأزل ولم يحيي ولم يميت وحين الخلق والإماتة والإحياء فإن الله متصف بهذه الصفات أيضاً فتعلق القدر بالمقدور في الحالة الأولى تعلق صلوحي قديم وفي الحالة الثانية تنجيزي حادث ويتبين لنا أن الإمام عبد الله بن المبارك يوافق جمهور أهل السنة والجماعة، ومنهم الأشاعرة في جميع ما ذهبوا إليه في هذه المسألة[٢].

---

[١] الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، البيهقي: ٩١/١.

[٢] ينظر: آراء الإمام البيهقي في العقيدة، احمد حازم: ١٠٦-١٠٧.



الخاتمــة

دين الله تعالى بين المغالي فيه والمقصر عنه، وإنما القصد في سلوك الطريقة المستقيمة بين الأمرين، فدين الإسلام وسط بين الأطراف المتجاذبة، فالمسلمون وسط بين أهل الملل. فهم وسط في التوحيد بين اليهود والنصارى، فاليهود تصف الرب تعالى بصفات النقص التي يختص بها المخلوق ويشبهون الخالق بالمخلوق، كما قالوا: إنه بخيل، وإنه فقير، وإنه لما خلق السموات والأرض تعب، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، ولعنوا بما قالوا. وهو سبحانه الجواد الذي لا يبخل، والغني الذي لا يحتاج إلى غيره، والقادر الذي لا يمسه لغوب. والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التي يختص بها ويشبهون المخلوق بالخالق، حيث قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، وإن الله ثالث ثلاثة.

وقالوا: المسيح ابن الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله والمسيح بن مريم، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهًا واحدًا لا إله إلا هو سبحانه عمَّا يشركون.

فالمسلمون وحدوا الله ووصفوه بصفات الكمال، ونزهوه عن جميع صفات النقص، ونزهوه عن أن يماثله شيء من المخلوقات في شيء من الصفات، فهو موصوف بصفات الكمال لا بصفات النقص، وليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله.

وفيما يأتي أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث، فأقول:

أولاً: إن ضابط الصفات الإلهية عند أهل السنة هو: ما قام بالذات الإلهية ووردت به نصوص القرآن والسنة. فأهل السنة يثبتون قيام الصفات بالذات سواء الذاتية منها أو الفعلية.

ثانياً: يشترط لثبوت الصفات ورود النص من القرآن أو السنة بذلك، فباب الصفات توقيفي.

ثالثاً: إنَّ كل واحد من لفظ (الوصف) أو (الصفة) لا فرق بينهما عند أهل السنة، وأنهما قد يراد بهما الكلام الذي يوصف به الموصوف أو المعاني التي يدل عليها الكلام.

بخلاف قول الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم الذين جعلوا الصفات مجرد القول الذي يعبر به عن الموصوف من غير قيام معنى.

وبخلاف الصفاتية الذين يجعلون الوصف: هو القول، والصفة: هو المعنى القائم بالموصوف، فيفرقون بين الوصف والصفة.

وفي الختام، فهذا جهدي أقدمه للقراء فما كان فيه من صواب فمن فضل الله عز وجل، وما كان فيه من خطأ فمني، واستغفر الله، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

فهـــرس المصـــادر والمراجـــع

١.الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت٣٥٤هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت٧٣٩هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٢.أخبار أبي حنيفة وأصحابه، الصيمري، الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الحنفي (ت٤٣٦هـ)، عالم الكتب- بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٣.آراء الإمام البيهقي في العقيدة، أحمد حازم يحيى المشهداني، رسالة ماجستير، مقدمة إلى الجامعة الإسلامية، بغداد، ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.

٤.الأربعين في أصول الدين، الرازي، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين(ت٦٠٦هـ)، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آبد الدكن، ط١، ١٣٥٣هـ.

٥.أصول الاعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة، اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور (ت١٤٠٢هـ)، تحقيق: أحمد سعدون حمدان، دار طيبة- الرياض.

٦.أصول الدين الإسلامي، الدكتور رشدي عليان والدكتور قحطان الدوري.

٧.أصول الدين الإسلامي، عبدالقاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة- بيروت، ط١، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٨.الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث، البيهقي، أبو بكر، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: أحمد عصام الكاتب، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط١، ١٤٠١هـ.

٩.الأعلام، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ٢٠٠٢م.

١٠. الاقتصاد في الاعتقاد، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت٥٠٥هـ)، وضع حواشيه: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

١١. الأنساب، السمعاني، أبو سعد، عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي المروزي(ت٥٦٢هـ)، تحقيق: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط١، ١٣٨٢هـ-١٩٦٢م.

١٢. الإنصاف في علم الكلام، الباقلاني، القاضي أبو بكر بن محمد (ت١٤٠٣هـ)، تحقيق: عماد الدين حيدر، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

١٣. التأريخ الكبير، البخاري، أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم الجعفي (ت٢٥٦هـ)، دار المعارف العثمانية، حيدر آبد- الدكن، الهند، محمد عبدالمعيد خان.

١٤. تأريخ بغداد، الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي (ت٤٦٣هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م، ١٦ج.

١٥. تأريخ دمشق، ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله(ت٥٧١هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.

١٦. تذكرة الحفاظ، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز(ت٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

١٧. التعريفات، الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف(ت٨١٦هـ)، تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

١٨. تهذيب التهذيب، ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، مطبعة دائرة المعارف النظامية- الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.

١٩. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، الحافظ المزي، يوسف بن عبدالرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي(ت٧٤٢هـ)، تحقيق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢٠. الثقات، ابن حبان، أبو حاتم، محمد بن حبان بن احمد البستي (ت٣٥٤هـ)، ط١، مطبعة مجلس دائرة المعارف، الهند، ١٤٠١هـ.

٢١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور علي حسن وآخرون، دار العاصمة- الرياض، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٠م.

٢٢. حاشية الدسوقي على أم البراهين، المطبعة الأزهرية المصرية، ط١، ١٣١٣هـ.

٢٣. الدفاع عن حديث الجارية، تصنيف عبد الله بن فهد الخليفي.

٢٤. الرد القويم البالغ على الكتاب الخليلي المسمى بالحق الدامغ، الأستاذ الدكتور علي بن محمد ناصر الفقيهي، دار المأثر- المدينة المنورة.

٢٥. السنة، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: الدكتور محمد سعيد سالم القحطاني، دار ابن القيم- الدمام، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٦. سير أعلام النبلاء، الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت٧٤٨هـ)، دار الحديث- القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٢٧. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، عبدالحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري، أبو الفلاح(ت١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبدالقادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق – بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٢٨. شرح العقيدة الأصفهانية، أحمد بن عبد الحليم بن تيميه، مكتبة الرشد، ط١.

٢٩. شرح العقيدة الطحاوية، عبد الغنيمي الميداني الحنفي (ت١٢٩٨هـ)، تحقيق: محمد مطيع الحافظ، ومحمد رياض الملاح، دار الفكر- بيروت، ١٩٨٢م.

٣٠. شرح المقاصد في علم الكلام، التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر بن عبد الله(ت٧٩١هـ)، دار المعارف النعمانية- باكستان، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٣١. شرح المواقف: الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد(ت٨١٦هـ)، مطبعة السعادة- مصر، ط١، ١٣٢٥هـ-١٩٠٧م.

٣٢. الشوكاني وجهوده في علم الكلام، عبد الله برك عوض بالغيور، أطروحة دكتوراه مقدمة إلى جامعة صدام للعلوم الإسلامية، ١٤٢٢هـ.

٣٣. صفة الصفوة، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ)، تحقيق: محمود فاخوري - د. محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة- بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

٣٤. الصفدية، ابن تيمية، تقي الدين أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبدالسلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي(ت٧٢٨هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية- مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٣٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدرالدين العيني، أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى(ت٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي- بيروت.

٣٦. غاية المرام في علم الكلام، الآمدي، علي بن أبي علي بن محمد بن سالم(ت٦٣١هـ)، تحقيق: حسن محمود عبداللطيف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية- القاهرة، ١٣٩١هـ.

٣٧. غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير، محمد بن محمد بن يوسف(ت٨٣٣هـ)، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره لأول مرة عام ١٣٥١هـ، ج. برجستراسر.

٣٨. الفتح المبين في براءة الموحدين من عقائد المشبهين، الدكتور عيسى بن عبد الله مانع الحميري، دار السلام، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٠م.

٣٩. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي، أبو الحسنات محمد عبدالحي الهندي(ت١٣٠٤هـ)، عني بتصحيحه: السيد محمد بدرالدين أبو فراس النعماني، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، ١٣٢٤هـ.

٤٠. فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة، الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد(ت٥٠٥هـ)، المطبوع ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي.

٤١. الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي، أبو أحمد بن عدي الجرجاني(ت٣٦٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وآخرون، الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م، ٩ج.

٤٢. الكليات، أبو البقاء أيوب موسى الحسيني الكفوي (ت١٠٩٤هـ)، تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٤٣. اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، الاشعري، أبو الحسن علي بن إسماعيل(ت٣٢٤هـ)، تحقيق: محمد أمين الضاوي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٤٤. المدهش، ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد(ت٥٩٧هـ)، تحقيق: الدكتور مروان قباني، دار الكتب العلمية- بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٤٥. مروج الذهب، المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي(ت٣٤٦هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٩٦٧م.

٤٦. المسايرة في علم الكلام والعقائد التوحيدية المنجية في الآخرة، الكمال الهمام الحنفي (ت٦٨١هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المطبعة المحمودية- مصر، ط١.

٤٧. معجم البلدان، ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي (ت٦٢٦هـ)، دار صادر- بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.

٤٨. مفتاح السعادة، مصطفى الشهير بـ(طاش كبرى زادة)، تحقيق: كامل بكر وعبد الوهاب أبي النور، دار الكتب الحديث.

٤٩. الملل والنحل: الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد(ت٥٤٨هـ)، مؤسسة الحلبي.

٥٠. منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد الحراني الحنبلي الدمشقي (ت٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد سالم رشاد، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.

٥١. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المقريزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين(ت٨٤٥هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٥٢. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، أبو المحاسن، جمال الدين (ت٨٧٤هـ)، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب- مصر.